الخطبة الثانية والسبعون
المكفّرات العشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن تبعه إلى يوم القيامة.

أما بعد:

قال الإمام الطحاوي في كتابه العقيدة الطحاوية، ونقلاً من كتاب شرح العقيدة لأبي العز الحنفي ص (327)، يقول الإمام: (إن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنّة):

1. **التوبة**: قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠﴾ [مريم: 19/ 59-60]، والتوبة النصوح الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب. والتوبة سببٌ لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والتوبة النصوح يلازمها ندم، ويلازمها العزم على عدم العودة إلى تلك المعصية. ويلازم التوبة أيضاً العمل الصالح، خاصة في زمان ومكان المعصية.

وإذا كانت التوبة فيها بعض من حقوق العباد فيجب على التائب أن يعيد الحقوق إلى أصحابها. وإن كانت الحقوق غير مادية -كالغيبة والنميمة- فإنه يستسمح أصحابها، فإن كان في هذا مفسدة أكبر من الاستسماح، فيستغفر لهم ويدعو لهم عوضاً عن ذلك والله أعلم.

2. **الاستغفار**: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: 8/ 33]، لكن الاستغفار تارةً يُذكر وحده، وتارةً يقرن بالتوبة، فإذا ذُكر الاستغفار وحده كان من ضمنه التوبة، وإذا ذُكرت التوبة وحدها كان الاستغفار ضمنها. أما إذا ذُكرا مقترنين أي مع بعضهما فلكل منهما معنى.

أ- الاستغفار: طلب وقاية من شر أو معصية ما، قد مضت. ب- التوبة: الرجوع وطلب وقاية من شر أو معصية مستقبلية؛ أي: التوبة وعد من أني لن أقدم على هذا الذنب في المستقبل. أما الاستغفار فإني أطلب المغفرة والمسامحة عن ذنب قد فعلته في الماضي.

3. **فعل الحسنات والقيام بالأعمال الصالحة**: قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 11/ 114]، وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحُها» حم - ت - حديث حسن.

4. **المصائب الدنيوية**: فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: 4/ 123]، فلما نزلت شقت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ، فشكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «قاربوا وسددوا، فكل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها» رواه مسلم، وزاد في آخره: (والشوكة يشاكها)، وروى الإمام أحمد أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله ﷺ، كيف الفلاح بعد هذه الآية: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: 4/ 123]؟ فكل سوء عملناه جزينا به! فقال عليه الصلاة والسلام: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ أليست تصيبك اللَّأواء؟ قلت: بلى، فقال: (فهو ما تجزون به)». وروى ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إني لأعلم أشد آية في القرآن، فقال ﷺ: ما هي يا عائشة؟ قلت: (**من يعمل سوءاً يجز به**)، فقال ﷺ: «هو ما يصيب العبد المؤمن، حتى النكبة ينكبها». وهذا من فضل الله علينا أن الأوجاع والأمراض والمصائب وكل ما يزعجنا ويقلقنا، وفراق الأحبة، وضيق ذات

اليد، وكل ما نعدُّه من البلايا والنكبات، كله نؤجر عليه، ويكفّر الله بها ذنوبنا، ويرفع بها درجاتنا، إذا أنبنا إلى الله ورجعنا إليه، (إنا لله وإنا إليه راجعون)، ولم نتسخط ولم نتذمر ولم نعترض على قدر الله تعالى، لكن هذا لا يعني بحال من الأحوال الاستسلام للمصيبة أو عدم العمل على رفعها أو معالجتها، أو الاستكانة والخذلان أبداً، إن الإسلام دين عمل ودين حركة، ودين تصحيح، ورفع لمستوى المعيشة، ورفع لمستوى التعليم، ورفع لمستوى القوة في كل المجالات. بالعمل والإيمان والاعتماد على الله، والالتجاء إليه، فالمصائب نفسها مكفرة للذنوب، وترفع الدرجات، وبالصبر عليها يثاب العبد، وبالسخط يأثم. والصبر والسخط أمر آخر غير المصيبة ذاتها، فالمصيبة من تقدير الله تعالى لا من فعل العبد، والصبر والسخط من فعل العبد. وهي (أي: المصيبة) جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفّر ذنبه بها، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمر الله تعالى: (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهمَّ أْجُرْني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف الله له خيراً منها» حم - هـ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً» البخاري - حم، وعن أم العلاء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا أم العلاء أبشري فإن مرض المؤمن يُذهِب الله به خطاياه كما تُذهب النار خبث الذهب والفضة» أبي داود.

5. **في القبر**: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

1. ما تسبب إليه الميت في حياته: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» مسلم، فالميت ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة. وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: 53/ 38-39]، آيتان محكمتان مقتضيتان عدل الله سبحانه وتعالى،

فالأولى تقتضي: أن لا يعاقب أحداً بجرم أحد، والثانية تقتضي: أن لا يفلح إلا بعمله وسعيه. فالإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وتزوج وولد الأولاد، وأسدى الخير، وتودد إلى للناس، فترحموا عليه ودعوا له وبذلوا له، فكان ذلك أثر سعيه وعمله هذا أولاً.

وثانيًا: أن القرآن لم ينفِ انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه، أو أنه نفى ملكه لسعي غيره، فبين الله تعالى أن لايملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لفاعله، فإن شاء أن يبذله لغيره أو يهبه لغيره فهذا له، كالعامل يكسب أجراً إن شاء يهدي كسبه من أجره لغيره فهو حر في ذلك.

2. والأمر الثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم للميت: دعاء المسلمين للميت ثابت فهو ينتفع به لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: 59/ 10]، ودعاء الأمة للميت في صلاة الجنازة أمر ثابت، فمن حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل» سنن أبي داود، وحديث بُريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» مسلم، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» مسلم.

وإلى جانب دعاء المسلمين للميت، فإن الميت تَصِلُه الصدقة إذا أحد تصدّق عنه، سواءً من أهله أو غير أهله، كما في حديث أبي قتادة؛ حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما، قال ﷺ: «الآن بردت عليه جلدته» الحاكم، والصوم يصل إلى الميت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» متفق عليه، وذهب العلماء في هذا الحديث مذاهب:

1. أبو حنيفة قال: يُطعم عن وليه -أي: الفدية- ولا يصوم.
2. وبعضهم قال: يصوم للأمر العام.
3. بعضهم كما قال الإمام أحمد: هذا في النذر؛ لأن النذر دَين ويقضي الدين وليّ الميت، أما ثواب الحج فالآثار منها مستفيضة في وصول ثواب الحج إلى الميت وهو في الصحيحين، وبعض العلماء ذهب إلى أن الأعمال الصالحة إذا وُهِبَتْ للميت يصله ثوابها، وقاسوا على أن كبار الأعمال الصالحة كالصوم والحج والصدقة تصل إلى الميت، إذن فصغار الأعمال الصالحة وبقيتها تصل إلى الميت بإذن الله، والله تعالى أعلم. كما جاء في الصفحة (457) من شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.

6. **أهوال يوم القيامة وشدائدها**: مكفرة لبعض الذنوب أو أنها تستجلب لطف الله سبحانه وتعالى، واستدلوا بحديث: أن الله تعالى يدني العبد فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره ذنوبه فيقول تعالى: «أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب! حتى إذا أقرره بذنوبه ورآى في نفسه أنه هلك، قال تعالى: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه». وأما الكافر والمنافق: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: 11/ 18] متفق عليه، عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار؛ (أي: أنهم عبروا الصراط) حُبِسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده، لأحدكم بمسكنه في الجنة أدل بمسكنه كان في دار الدنيا» البخاري - حم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ» الترمذي.

7. **شفاعته صلى الله عليه وسلم:**

1. الشفاعة العظمى: حيث يقول عليه الصلاة والسلام في حديث طويل: «... فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك سَلْ تُعطَه، اشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول تعالى: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال : والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» متفق عليه، حم.
2. شفاعته عليه الصلاة والسلام في أُناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم.
3. شفاعته عليه الصلاة والسلام في أُناس أمر بهم إلى النار.
4. شفاعته عليه الصلاة والسلام في رفع درجات بعض من دخل الجنة.
5. شفاعته عليه الصلاة والسلام في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، حديث عكاشة.
6. شفاعته عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عمن يستحق، كشفاعته في عمه.
7. شفاعته عليه الصلاة والسلام في دخول المؤمنين الجنة، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أول شفيع في الجنة» مسلم.
8. شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الكبائر من أمته، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» صحيح - رواه الإمام أحمد.

8. **عفو أرحم الراحمين**: قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 4/ 48].وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله» رواه مسلم. وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، والمؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» مسلم - حم.

9. **دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات**: عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك: آمين، ولك مثل ذلك» حم - مسلم - جه. ومثله عند أبي داود، والحديث عام. أي: إن الدعاء للأحياء وللأموات، فمن دعا لأخيه حياً كان أو ميتاً، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا رد عليه من كل مؤمن ومؤمنة ما مضى، أو هو كائن إلى يوم القيامة بمثل دعائه» مصنف عبد الرزاق - معمر عن أبان عن أنس.

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال كل يوم: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ألحق به لكل مؤمن حسنة» الطبراني.

10. **ما يهدى للمؤمن جزاءً لما سنّه**: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: 36/ 12]، وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: 16/ 25]، قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» حم - م - عن أبي هريرة، وقال ﷺ: «من سن في

الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن يَنقُص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» حم - م - ت - ن - هـ - عن جرير، وعن ربيعة الجرشي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «استقيموا ونعمّا إن استقمتم وحافظوا على الوضوء، وخير أعمالكم الصلاة، وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به» الطبراني - البغوي.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا.

وسلم اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه